Collo. ما عدا الوثيقة رقم 16 التي هي عبارة عن "تذكرة"[2] صادرة عن حسين باي، والوثيقة رقم 25 التي هي عبارة عن نص أمر صادر عن هذا الأخير أيضا[3].

ومعظم وثائق هذه المجموعة تدور حول موضوع الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري، ما عدا بعض المراسلات الثانوية التي تتناول مواضيع أخرى . كُتبت جميع الوثائق باللغة العربية، وقد رافقتها تعاليق باللغة الفرنسية. لم تأت هذه الوثائق مرقمة في الأصل؛ بل هناك يد حاولت ترقيمها من بعد؛ والدليل على ذلك اختلاف نوع القلم الذي كتبت به الوثائق وبين القلم الذي رقمت به، حيث كان الأول حبرا، والثاني قلم رصاص. وقد رقمت هذه الوثائق من 1 إلى 130 مع تكرار الرقمين 91 و110 والسهو عن ترقيم الرسالة رقم 7. كما يلاحظ زيادة على ذلك تكرار الرسالة التي تحمل الرقم التسلسلي 41؛ حيث أعيدت كتابتها في آخر المجموعة، وحملت الرقم التسلسلي 131.

معظم هذه المراسلات منسوخة في مجلد على شكل كتاب صنعت دفتاه من ورق مقوى صلب، أما الكعب فهو مصنوع من الجلد البني الفاتح كتب عليه عنوان المجلد باللغة الفرنسية: Lettres des différents Beys de Constantine »؛ "رسائل من مختلف بايات قسنطينة" وفي الأسفل كتبت كلمة "نسخ" (copies). احتوت الصفحة الظهرية منه فهرسا عاما للوثائق الواردة في المجلد كتب باللغة الفرنسية.

أ)–الوثائق الأصلية وغير الأصلية:

معظم الوثائق الموجودة في المجموعة غير أصلية، وهي منسوخة عن أصول مفقودة. حيث ذكر فانيان Fagnan في الفهرس الذي وضعه لمخطوطات المكتبة الوطنية بالجزائر أن جل وثائق هذه المجموعة هي نسخ غير أصلية وأضاف بأنها كتبت بيد أوربية؛ ما عدا بعض الوثائق الأصلية[4]. وهو ما ذكره أيضا خليفة حماش الذي تعامل مع هذه المجموعة ووضع لها تصنيفا تسلسليا مرفقا بتلخيص مختصر حول موضوع كل رسالة على حدة[5]. ويبلغ عدد الوثائق الأصلية التي تضمنتها المجموعة 16 وثيقة تحمل الأرقام التسلسلية التالية: 16، 17، 19، 94، 97، 100، 101، 102، 105، 106، 107، 112، 113، 114، 115، 122.

يمكن التمييز بين الرسائل الأصلية وغير الأصلية بفضل المعطيات التالية:

1- الاختلاف في الخط؛ حيث نجد الرسائل غير الأصلية قد تشابهت كلها في الخط، رغم تباين الفترات التي كتبت فيها واختلاف مرسليها؛ كأن تكون إحدى الرسائل مثلا أرسلها حسن باي في سنة 1745[6]، وتكون أخرى قد أرسلت من طرف مصطفى باي بتاريخ 1797[7]. أما بالنسبة للوثائق الأصلية فيلاحظ اختلاف الخطوط فيها حسب هوية كل مرسل، فالرسائل التي أرسلها علي باي شيخ المعزولة[8] مثلا تختلف في خطها عن تلك التي أرسلها أحمد باي؛ كما أن هذه الأخيرة تختلف بدورها عن الوثيقتين اللتين أرسلهما حسن باي[9].

2-وجود بعض الأخطاء في النَّسْخ في نصوص الرسائل غير الأصلية؛ يذكر على سبيل المثال ما ورد في الرسالة رقم 61، التي جاء فيها:"...إننا شيَّخنا ابننا علي باي وطردنا والده البخيس عود الله ورسوله..."؛ والخطأ هنا واضح، ويتمثل في أن الناسخ أخطأ في نقل الحروف؛ فقدم الواو على الدال فكتب "عود" بدل "عدو". مثال آخر نجده في الرسالة رقم 4 التي جاء فيها"... ما عرفتمونا من أمر المرمة متاع هدم الطاحونة...تبقا ترفع ذلك المرمة وترسيها...". وفي هذه الرسالة أخطأ الناسخ في نقل الحروف فكتب

"المرمة" بدلا عن "الهدمة"، وكتب "دور" بدل "سور"، وكتب "ترسيها" بدل "ترميها"[10]؛ أما الرسائل الأصلية فإننا لا نلاحظ فيها أخطاء من هذا النوع. كما ترك الناسخ فراغات أغلب الظن أن ذلك راجع لعدم فهمه للكلمات أو لوجود خرم مكان الكلمات؛ مثل ما ورد في الرسالة رقم 30، التي جاء فيها:" عزمنا أن نرده لكم وكيف يمكن هذا [بياض] صندوق ملئان نخالة هذا لا يليق." مثال آخر ورد في الرسالة رقم 50، التي جاء فيها:"... ذكرتم لنا على شأن[بياض] والزليزة علمنا ذلك.".

3-كتبت الرسائل الأصلية على ورق مغاير وألصقت بواسطة غراء على أوراق المجلد.

4-ورود الرمز اللاتيني P.S في أول النصوص المستدركة التابعة لنصوص الرسائل غير الأصلية؛ وهو دليل على أن الناسخ أوربي وغير عربي.

ومما يلفت الانتباه هو الرسائل الأصلية التي قام الناسخ بإلصاقها كما هي على بعض أوراق المجلد دون نسخها كغيرها، وهو ما يجعلنا نتساءل عن سبب نسخ معظم الرسائل، وترك بعضها على أصليته وعدم نسخه كغيره. قد يعود السبب في ذلك إلى أن تلك الرسائل الأصلية كانت بحوزة الناسخ، أما الرسائل الأخرى فإما أنها كانت في حالة سيئة مما صعب على الناسخ إلصاقها في المجلد كغيرها، فارتأى أن يعيد كتابتها ويحتفظ بأصولها؛ أو أن يكون قد عثر على هذه الرسائل منسوخة، فنقلها على حالها، ووجد في الرسائل الأصلية التي كانت بحوزته مكملا لها، فوضعها ضمن المجموعة. والأرجح هو الاحتمال الثاني؛ لأن الوثائق لو كانت في حالة سيئة لوجدنا جميع النصوص المنسوخة تحتوي عددا كبيرا من الفراغات أو النقاط التي تدل على عدم تمكن الناسخ من قراءة الكلمات في المواضع التي وجدت بها آثار للأرضة أو ما شابه ذلك. وقد جاء المجموع متوسط الحجم، أوراقه بحالة جيدة، مسطرتها 19,75 سم على 30 سم. أما نوع الأوراق التي كتبت عليها الرسائل الأصلية فهي مختلفة عن باقي أوراق المجلد من حيث قدمها وخشونتها النسبية، ولكنها في حالة جيدة ما عدا الرسالة رقم 16 و17 التي اشتملت في أعلاها على أثر للأرضة بلغ طوله في الرسالة 16؛ 7 ملم أما في الرسالة رقم 17، فكان طول هذا الأخير 4 سم، كما يوجد أثر للأرضة في أسفل الورقة التي كتبت عليها الرسالة رقم 17 بطول 17 سم؛ غير أن هذه الآثار لم تؤثر على محتوى الوثيقتين. أما حجم الأوراق فهو صغير، وغير منتظم، ولم تأت هذه الأوراق موحدة الحجم؛

فبعضها مستطيل الشكل،والآخر شكله مربع؛ مثال على ذلك الرسالة رقم 16 التي هي مستطيلة الشكل، ومسطرتها 11,9 على 16,5 سم، أما الرسالة رقم 101 فهي مربعة الشكل، ومسطرتها 11,5 على 10,8 سم.

كتبت الرسائل غير الأصلية بحبر بني اللون قاتم، أما الرسائل الأصلية فكتبت بحبر بني أيضا يختلف في درجة قتامته من رسالة لأخرى. أما القلم فقد اختلف نوعه باختلاف الوثائق؛ فالرسائل غير الأصلية . وهي الغالبة على المجموعة . نسخت بقلم غليظ نوعا ما، أما التعاليق باللغة الفرنسية التي جاءت مرافقة للنصوص العربية؛ فكتبت بقلم رفيع، وهو .كما يبدو لنا . عبارة عن ريشة. أما الرسائل الأصلية فقد تنوع القلم الذي كتبت به؛ فكان . في الوثائق رقم 16 ،17، 122 . ريشة رفيعة؛ أما في الرسائل الأخرى فكان قلما غليظا.

ب)– الأختام:

لم تحتو الرسائل غير الأصلية على أختام؛ ماعدا الرسالة رقم 59 التي حاول فيها الناسخ أن يرسم ختما نقلا عن الختم الذي كان موجودا في أصل هذه الرسالة. والختم هنا يخص صالح باي كما هو واضح من خلال ما كتب في وسطه:" عبده صالح باي ابن مصطفى 1185هـ وهو دائري الشكل.

أما الوثائق الأصلية فإن ثلاثة منها احتوت على أختام، وهي التذكرة رقم 16 التي كتبها حسن باي لقبطان القالة بتاريخ 1162 هـ، واحتوت الرسالة رقم 17 والتي هي من نفس المرسل على ختم مختلف عن الختم الذي جاء في التذكرة. أما الوثيقة الثالثة فهي الرسالة رقم 112 الصادرة عن أحمد باي. أما الرسائل الأخرى الصادرة عن شيوخ المعزولة فلم تشتمل على أختام.

ج)– لغة الوثائق وأسلوبها وخطها:

كتبت جميع الوثائق بخط مغربي تختلف درجة إتقانه ووضوحه حسب أصلية الرسائل من عدمها، وحسب كُتّابها؛ فنجد الرسائل غير الأصلية قد كتبت كلها بخط واحد وهو مغربي واضح ومقروء. أما الرسائل الأصلية فإننا نميز فيها بين ثلاث درجات من إتقان الخط؛ فالوثيقتان 16 و17 كتبتا بخط متشابه حيث أن كلاهما من حسن باي، وهو خط مغربي متقن وواضح. ثم نجد الرسائل التي بعث بها شيخ المعزولة علي باي . وهي الغالبة على المجموعة الأصلية . قد كتبت بخط مغربي رديء، وغير مقروء في بعض الأحيان. ثم تأتي الرسالة 122 وهي من أحمد باي، وكتبت بخط مغربي واضح متوسط الإتقان. أما لغة الوثائق فهي لغة عربية تشوبها بعض الركاكة في الأسلوب أحيانا؛ وتختلط بالدارجة أحيانا أخرى. وإذا حاولنا تصنيف الرسائل على هذين الأساسين فإننا نجد أنفسنا أمام صنفين:

*الصنف الأول يتمثل في الرسائل التي بعث بها بايات قسنطينة، أو دايات الجزائر أو كتاب البايات؛ وهو الصنف الغالب على المجموعة.

*أما الصنف الثاني فيتمثل في الرسائل التي كتبت من طرف شيوخ المعزولة، وهم الشيخ عبد الله وابنيه علي باي وأحمد الباهي، ورسالة محمد بن مطين ابن أحد شيوخ القبائل المجاورة للقالة.

أما الصنف الأول فجاءت لغته عربية مقبولة، قليلة الركاكة؛ ما عدا بعض الأساليب الدارجة. والسبب في ذلك راجع لامتلاك هؤلاء الموظفين السامين في الدولة كتابا خاصين بهم، فالداي مثلا كان يملك كاتبين يأخذان لقب خوجة العرب: وهما مكلفان بقراءة الرسائل المكتوبة بالعربية والواردة إلى قصر الداي، كما يقومان بكتابة الرسائل والردود أيضا[11].

أما الباي فقد كان يملك موظفا يدعى باش كاتب، يعتبر بمثابة السكرتير العام لبايلك قسنطينة. وقد كان من بين مهامه تحرير الرسائل الخاصة بشؤون البايلك، والإشراف على تدوين مداخيل البايلك ومصروفاتها من الأموال والخيول والأبقار والمواشي وغيرها. وكان يساعده في عمله ثلاثة كتاب آخرين مكلفين بتحرير القرارات التي يصدرها الباي، والمراسلات العامة، وهو من يراقبها ويضع ختم الباي عليها[12]. والسبب في جودة اللغة أن كتابها كانوا يحترفون الكتابة التي تعد من صميم عملهم ووظيفتهم.

أما الرسائل الأخرى التي كان يغلب عليها طابع الركاكة، فإن السبب في ذلك يمكن إرجاعه إلى هوية كتابها الذين كانوا يكتبونها بأنفسهم مثل بعض رسائل الشيخ علي باي التي جاءت في آخرها عبارة "كتبت عن ذهنه"[13]. وإما أن يكلف شخصا آخر بكتابتها فتأتي في آخرها عبارة:" كتبت عن إذنه"[14]. ومن هنا يتضح المستوى الثقافي المتواضع الذي كان يملكه هؤلاء.

3- هوية الناسخ والمعلق:

لم يرد في المجلد الذي نسخت فيه هذه الوثائق أي دليل واضح على اسم ناسخها. وقد حاول خليفة حماش تحديد هوية هذا الناسخ فذكر بأنه قد يكون ألبير دوفوAlbert Devoulx الذي عينته الإدارة الفرنسية أول محافظ للأرشيف العثماني بالجزائر في سنة 1848[15]. لا شك أن خليفة حماش قد استند في هذا الافتراض إلى تاريخ ألبير دوفو وعنايته بالوثائق العربية والتركية وإنجازاته الهامة في خدمة هذا الموروث الحضاري الهام. وهو ما شهد له به أحد زملائه في مقالة له في المجلة الإفريقية، جاء فيها: "صادف زميلنا ألبير دوفو محافظ الأرشيف الجزائري والأرشيف الخاص بأملاك الدولة، بحكم عمله العديد من الوثائق العربية والتركية، والتي عثر فيها على معلومات مهمة تخص تاريخ هذا البلد فقام انطلاقا منها بإعداد عدة مذكرات؛ من بين هذه الأعمال نذكر مذكرته حول ثكنات الجيش الإنكشاري بالجزائر"، والتي سننشرها لاحقا[16]. كما انتهى لتوه من تأليف كتاب آخر[17]، يضم عددا كبيرا من المعلومات التي لم يسبق نشرها حول الضرائب التي كانت تدفعها الأمم الأوربية للجزائر بخصوص الأسرى المسيحيين الذين تأسرهم الجزائر"[18].

كما يضاف إلى هذه الأعمال: كتاب أرشيف القنصلية الفرنسية بالجزائر، سجل الغنائم البحرية ودفتر التشريفات. أما مقالاته في المجلة الإفريقية التي كان عضوا مؤسسا فيها[19]، فيذكر منها: "كشف بأهم الفرنسيين الذين أقاموا بمدينة الجزائر(1686-1830)"، "ج.ب.جرمانG. B. Germain"، "الرايس الحاج مبارك"، "قبر خضر باشا في الجزائر"، "وفاة الباشا محمد خوجة 1754"[20].

غير أن ما يلفت الانتباه وجود معلومة تجعلنا نشك في نسبة هذا المخطوط إلى ألبير دوفو Albert Devoulx، وهي ورود اسم غير واضح، في آخر المخطوط وسنة 1861 حيث أن الاسم مكون من حرف A، يليه اسم ولقب لم نستطع قراءته بسبب عدم وضوح الخط الذي كتب به، حيث جاء في بداية الاسم الأول حرف G وبداية الاسم الثاني حرف Le، هذا كل ما استطعنا قراءته من هذا الاسم. قد يكون صاحب هذا الاسم غير الواضح هو الناسخ، وربما يكون هذا ما استند إليه فانيان Fagnan[21] في فهرسه عندما نسب نسخ هذه الوثائق إلى شخص مجهول، حيث يقول:" هي مجموعة من الرسائل مصحوبة بفهرس مكتوب باللغة الفرنسية...كتبت معظم هذه الرسائل بيد أوربية ما عدا بعض الرسائل الأصلية" [22]. وهو ما يجعلنا نستبعد أن يكون الناسخ هو ألبير دوفو، ولو كان كذلك لجزم بذلك فانيان الذي يعد زميلا له في مدرسة المؤرخين الفرنسيين في الجزائر حتى وإن لم يكونا من الجيل نفسه. كما يمكن أن يكون الاسم الذي ورد في آخر المجلد اسم مالكه، وليس اسم ناسخه. أما السنة التي كتبت بجانب الاسم (1861) فهي ربما تصادف دخول المخطوط إلى الأرشيف.

من خلال ما سبق يصعب علينا تحديد هوية الناسخ، نظرا لشح المعلومات المتعلقة بهذه المجموعة من الوثائق وعدم وجود دليل واضح يمكن الاعتماد عليه في ذلك.

أما النتيجة التي نستطيع الوصول إليها في النهاية أن المجموع هو من إنجاز شخصين كلاهما أوربي؛ أحدهما الناسخ والثاني هو المعلق على عمل الناسخ. والدليل على ذلك هو اختلاف الخط الذي كتبت به التعاليق التي جاءت مصاحبة لنصوص الوثائق سواء الأصلية منها أو المنسوخة. وهذا الأمر يجعلنا نستنتج أن هناك من نسخ الرسائل وعلق عليها باللغة الفرنسية، ثم جاء الآخر بعدما اطلع على عمل هذا الأخير حاول أن يعلق على اجتهاداته باللغة الفرنسية أيضا.

أما فيما يتعلق بأمانة الناسخ من عدمها في نقل النصوص؛ فإنه لم تتم ملاحظة أي دليل على تحريف يكون قد اقترفه الناسخ عمدا، عدا بعض الأخطاء في نقل الحروف، أو البياض الذي كان يتركه في حالة عدم فهم الكلمات. ويتضح ذلك من خلال مقارنة بسيطة بين المواضيع التي تضمنتها الرسائل الأصلية، وبين مواضيع الرسائل المنسوخة؛ إذ يلاحظ تشابه بينها، مما يجعلنا نستبعد التشكيك في أمانة الناسخ.

4- تعليقات الناسخ:

اشتملت جميع الوثائق التي بين أيدينا سواء الأصلية منها أم غير الأصلية على تعاليق ورد معظمها أسفل النصوص أو في الهوامش الجانبية أو العلوية لها. تتمثل هذه التعاليق في ترجمة مختصرة لهذه الوثائق، وتدوين تواريخ وصول الرسائل إلى مستلميها بالتقويم الميلادي. جاءت هذه التعاليق في جميع الوثائق، ما عدا الرسائل التي تحمل الأرقام التسلسلية: 36، 127، 130، 133.

اشتملت أغلب الوثائق على ترجمة كاملة لمتن الرسالة في بعض الأحيان وملخصات في أحيان أخرى ما عدا الرسائل التي تحمل الأرقام التسلسلية التالية: 3، 7، 8، 11، 20، 36، 408، 49، 60، 65، 66، 71، 77، 79، 81، 88، 108، 109، 125، 128، 129.

وقد جاء بعضها مرفقا بعبارة (ترجمة رسمية)؛ (Traduction officielle)[23]. ويرجع ذلك إلى أن الناسخ لم يقم فقط بنسخ النصوص، بل قام بنسخ ترجماتها التي كتبت من طرف مترجمي الشركة الملكية الإفريقية. وهذا يجعلنا أمام مجموعة متكاملة من الوثائق. أما بالنسبة للرسائل التي لا تحتوي عبارة "ترجمة رسمية"، فهناك احتمالين إما أن يكون قد اجتهد في ترجمتها بأسلوبه، وإما أن تكون قد وردت في الأصل على هذا الشكل.

والمرجح هو الاحتمال الثاني؛ لأننا وبإلقاء نظرة بسيطة على الرسائل الأصلية نجد بأن هناك رسائل كتبت بأسفلها ترجمات لا تحتوي على عبارة "ترجمة رسمية" مثل التذكرة رقم 16، الرسائل رقم: 94، 97، 100، 107، 112، وأخرى لا تحتوي أصلا على ترجمات؛ كما نلاحظ في الرسالة رقم 112، كما أن هناك رسالتين أصليتين كتب الناسخ ترجماتهما الرسمية خارج إطار الرسالة الأصلية مثل:113، أو كتب جزء من الترجمة داخل إطار الورقة الأصلية التي كتبت عليها الرسالة، وجزء آخر من الترجمة كتبه الناسخ خارجه، مثل الرسالة رقم 19. ذلك راجع لقصه للورقة التي كتبت عليها الرسالة ، وهي عملية كررها في عدة مواضع[24]. ما تجدر الإشارة إليه هي نصوص تلك الترجمات التي لم تأت كلها دقيقة والدليل على ذلك الرسالة رقم 100 وهي أصلية جاءت فيها ترجمة للجزء الثاني فقط من الرسالة وأهملت ترجمة الجزء الأول.

كما نجد احتواء نصوص الترجمات . سواء التي كتب أمامها عبارة "ترجمة رسمية" أم لم تكتب . في بعض الأحيان معلومات إضافية لا توجد في نصوص الرسائل مثل الرسالة 115 التي جاءت فيها مجموعة من الطلبات لبعض المواد الاستهلاكية لابن أحد شيوخ القبائل جاء فيها طلب ملح، قهوة، 5 سكك للحراثة، صحن وفنجانين، "مَحْرَمتان"[25] حريريتان. بينما جاء في الترجمة ذكر السكك و"المِحْرَمتين" والملح فقط[26]. مثل الترجمة المرفقة بالرسالة 29؛ التي جاء فيها أمر من حسن باي إلى قبطان البستيون أن يبعث له 500 ريال الخاصة بالشيخ خالد فجاء في الترجمة أن الشخص المقصود هو شيخ قبيلة مرداس.

إضافة إلى ذلك نلاحظ أمرا آخر يحسب للناسخ وهو محاولته تأريخ الرسائل التي جاءت في معظمها غير مؤرخة ما عدا الرسالة رقم 1، 2، 3، 6، 12، 13 ،14 ،16 20، 22 23 24 25 26 29 32 40 43 46 57 69

75 106 119 120 122 127. كما أن هناك رسائل أخرى أورد في أسفلها عبارة: "بدون تاريخ"[27]. ما يمكن ملاحظته هو أن الناسخ قد أخطأ في كثير من الأحيان، مما يؤدي إلى الاستنتاج بأن تلك التواريخ وضعها باجتهاده الخاص استنادا إلى وثائق أخرى كانت بحوزته حيث حاول وضع كل رسالة بمقابلة تاريخ وصولها بالتقريب والدليل على ذلك اكتفاءه في معظم الأحيان بذكر السنة فقط، بكتابة عبارة" وصلت في خلال سنة كذا "؛ فذكر السنة ليس كافيا لتحديد تاريخ دقيق لوصول تلك الرسائل. مما أدى به للوقوع في أخطاء كما سيأتي ذكره.

كما أن هناك نوع آخر من التعليقات دونها الناسخ غير الترجمات والتواريخ، تتمثل في معلومات خارجية ليست متعلقة بمضمون الرسائل مثل تواريخ تعيين الموظفين الفرنسيين في مراكز الامتيازات، مثل الرسالة رقم 32 التي جاء فيها تعليق مدون في الهامش العلوي للصفحة يخص قرار من مقر الشركة الملكية الإفريقية في مرسيليا مؤرخ ب: 22 مارس 1762 يقضي بتعيين أندري فيلي مديرا عاما للامتيازات عوضا عن السيد دون، وتعيين السيد ديجان وكيلا في مؤسسة الشركة بعنابة. وهذا ما يؤكد فرضية احتكامه على وثائق إضافية حصل عليها من أرشيف الشركة الملكية الإفريقية أعانته في ذلك.

وبالرغم من أخطاء الناسخ ؛ إلا أنه قد وفق في تزويد الوثائق بمعلومات لم ترد فيها، مما جعل مجهوداته تكتسي أهمية بالغة من حيث كونها تشكل مادة تاريخية إضافية يمكن الاستفادة منها بشكل كبير خاصة إما ما يخص الترجمات أو المعلومات الإضافية التي أوردها.

5- تعليقات وتصويبات المعلق:

اشتملت معظم الرسائل على تعاليق كتبت من طرف المعلق على عمل الناسخ جاء بعضها مكملا لعمله أو موضحا لنصوص الرسائل، مثل الترجمات المطولة والحرفية التي دونها في هامش الرسالتين 19 و113؛ أو ترجمة مختصرة للرسائل الغير مترجمة؛ أو إعادة كتابة اسم المرسِل والمرسَل إليه باللغة الفرنسية وتاريخ وصول الرسائل. إضافة إلى تصويبات كتبها المعلق تعقيبا على الأخطاء التي وقع فيها الناسخ، كان يعتمد فيها أحيانا على معلومات يأخذها من وثائق الشركة الملكية الإفريقية، أو من مصادر تاريخية مختلفة. كما دَوَّنَ المعلق أيضا في بعض الأحيان إضافات بخصوص بعض المعلومات الواردة في نصوص الرسائل.

فبالنسبة للترجمات الحرفية للرسالتين المذكورتين فإنها تدل على اهتمام المعلق بهما، يعود ذلك إلى أهميتهما؛ حيث جاء في الرسالة رقم 19 ترجمة حرفية دونها المعلق في الهوامش العلوية، واليمنى واليسرى خارج إطار الرسالة الأصلية؛ وهي تتحدث عن محاولة اجتياز المحلة التونسية الحدود الجزائرية لجمع الضرائب على القبائل الحدودية، وطلب الباي التونسي من شيخ المعزولة تسهيل مرورهم على الأراضي التابعة له حتى لا يتسبب ذلك في تعطيل

حركة مرور القوافل التجارية المتجهة صوب القالة. أما الرسالة رقم 113 فقد دون المعلق ترجمتها في الصفحة المقابلة لها، وهي تتناول تفاصيل اغتيال الباي إبراهيم بوصبع.

أما بالنسبة للتصويبات التي دونها المعلق تعقيبا على أخطاء الناسخ فتتركز على تواريخ وصول هذه الرسائل إلى مستلميها والتي كتبها الناسخ وهي مختلفة عنها.

مثل الرسالة رقم 2 التي كتبت فيها العبارة التالية (وصلت خلال سنة 1730م) فلاحظ المعلق الخطأ الذي وقع فيه الناسخ خاصة وأن نص الرسالة الأصلي احتوى التاريخ الهجري لتحرير الرسالة. وهو صفر 1142هـ؛ فكتب المعلق:" أواسط صفر هو تاريخ يوافق أواسط سبتمبر 1729م". والشيء نفسه يقال بالنسبة للرسالة رقم 3 التي حررت بتاريخ أوائل جمادى 2 من عام 1157 هـ، وكتب الناسخ العبارة التالية (وصلت أثناء سنة 1743م)؛ فكتب المعلق: أوائل جمادى 2 سنة 1157هـ يوافق شهر جويلية من سنة 1744م[28].

كما صوب المعلق تاريخا دونه الناسخ على الرسالة رقم 41 التي ذكر أنها وصلت في أثناء سنة 1770م وهي من الباي صالح. فأشار المعلق إلى أن صالح باي لم ينصب إلا في سنة 1771م مرتكزا في ذلك على معلومة تزود بها تشير إلى أنه بتاريخ 27 أكتوبر 1771م كانت الشركة الملكية تقدم الهدايا إلى الباي الجديد سيدي صالح بمناسبة تنصيبه[29].

كما علق على خطإ آخر ورد في الرسالة رقم 66 التي وجهت إلى كرفاك Caravaque مدير البستيون، وصلت إليه بتاريخ 26 جوان 1779م. فعلق على ذلك استنادا إلى وثيقة من أرشيف الشركة في مرسيليا . ورمز إليها (V.C.G) وهي الأحرف الأولى من الجملة: أنظر الشركة العامة . أن السيد كرفاك لم يعين إلا بتاريخ 28 مارس 1785م[30].

بالرغم من ذلك كان في كثير من الأحيان التاريخ الذي يضعه المعلق موافقا للتاريخ الهجري المدون في نصوص الرسائل؛ وهذا يعني أن الناسخ لم يخطئ في جميع التواريخ؛ ومثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم 75 التي حررت في أوائل محرم 1196هـ فكتب الناسخ معلقا (وصلت في ديسمبر 1781م)، وأضاف المعلق تعقيبا على ذلك بأن محرم 1196هـ يصادف شهر ديسمبر 1781م.

وقد وردت أخطاء في التواريخ لم يعلق عليها المعلق مثل الرسالة رقم 44 التي بعث بها شيخ المعزولة علي باي إلى بيرون Peiron مدير البستيون، والتي ذكر الناسخ أنها وصلت بتاريخ 10 ديسمبر 1772م وهو خطأ لأن بيرون لم ينصب إلا في سنة 1791م[31]. مثال آخر على ذلك ما ورد في الرسالة رقم 58 التي بعث بها أحمد باي إلى مدير البستيون؛ ذكر الناسخ أنها وصلت خلال سنة 1776م، بينما أحمد باي كان قد توفي في 1771م[32]، مثال آخر نجده في الرسالة رقم 83 التي بعث بها علي باي إلى مدير البستيون أملريك Amalric؛ حيث ذكر

الناسخ أنها وصلت في 29 جانفي 1756م، بينما نجد أن كلا من أمليك وعلي باي لم يصلا إلى منصبيهما إلا سنة 1785م[33].

كما احتوت بعض الرسائل أيضا على إضافات كتبها المعلق بجانب نصوص الرسائل. مثل الرسالة رقم 20 التي أرسلت إلى القبطان مونيي Maunier وكيل الشركة الملكية في عنابة؛ والتي جاء فيها التعليق التالي . استنادا إلى أرشيف الشركة .: "C.G.Marseille (أي من الشركة العامة في مرسيليا أو مقر الشركة في مرسيليا)، أنه بتاريخ 16 أفريل 1760م الشركة تعلمك أن السيد مونيي طلب إحالته على التقاعد. والشركة قبلت ذلك وعينت بدلا عنه السيد رامال Ramel الذي كان مديرا سابقا للبستيون في القالة".

الشيء نفسه يقال بالنسبة للرسالة رقم 32 التي بعث بها أحمد باي إلى فيلي قبطان البستيون، جاء فيها تعليق استنادا إلى وثيقة من أرشيف الشركة بتاريخ 22 مارس 1762م: تقول بأن الشركة عينت منذ زمن قصير السيد أندري فيلي André Villet مديرا عاما للامتيازات (أي مديرا للبستيون في القالة)؛ جراء غياب السيد دون Don الذي كان يشغل المنصب قبله. كما تم تعيين السيد ديجان Dejan وكيلا للشركة في عنابة.

من هنا يتبين الجهد الذي بذله المعلق وقيمة العمل الذي قام به في سبيل تصحيح ما استطاع تصحيحه من الأخطاء التي وقع فيها الناسخ هذا من جهة، وتدعيم النصوص بمعلومات إضافية من جهة أخرى؛ مما يجعل العمل الذي قام به يكتسي أهمية تاريخية تفيد في قراءة الوثائق قراءة سليمة. إضافة إلى القيمة العلمية للتعاليق كونها مستقاة من مصادر تاريخية سواء كانت وثائق من أرشيف الشركة كما سبقت الإشارة إليه، أو مصادر منشورة مثل التعليق الذي كتبه عن بيرون Peiron بأنه كان وكيلا للشركة في طبرقة قبل توليه منصب مدير البستيون، وهي معلومة أخذها عن القسيس بواري L'Abbé Poiret[34].

الهوامش

1 – أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 1997، ص. 1.

2 – هذه التذكرة هي عبارة عن وصل استلام لقيمة الضريبة الجمركية على السلع المشحونة من ميناء القل.

3 – نص الأمر هذا صادر عن حسين باي، الذي وجهه إلى مدير البستيون برون Peron يقضي بالسماح له بإصلاح مخزن للزرع (الحبوب) داخل البستيون، والإذن ببناء حوش (إسطبل) للبقر.

4 – E. Fagnan, Catalogue général des manuscrits de la B.N.A, (1ère tranche du N° 1 au N° 1987), B.N.A, 2ème Edition, 1995, p.456

5 –خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، ع 13–14، أكتوبر 1996، ص. 292 .

6 –الرسالة رقم 4.

7 – الرسالة رقم 121

8 – الرسائل 19، 94، 97، 100، 101، 102، 105، 106، 107، 112، 133، 114، 115، 122.

9- التذكرة رقم 16، والرسالة رقم 17.

10- نستطيع أن نكتشف هذه الأخطاء من خلال قراءتنا للرسالة وفهم سياقها، حيث أن الحديث يدور فيها عن سور للطاحونة الذي حاول الفرنسيون الزيادة فيه خلافا للمعاهدات المبرمة بين الطرفين. فأرسل حسن باي إليهم بعض القوات لهدمه.

11- Venture de Paradis, Alger au 18ème siècle , Publié par Fagnan, Typographie Adolphe-Jourdan, Alger, 1898, p 114.

12 -M. E. Vayssette, Histoire de Constantine sous la domination turque,1517-1837,(1ère partie 1517- 1647), In R. N. M. S. A. C. , V 11, 1867, L. Arnolet, Constantine, p 251

13- الرسائل التي وردت فيها عبارة "كتب عن ذهنه"، تحمل الأرقام التسلسلية التالية: 101، 102،103.

14 –الرسائل التي وردت فيها عبارة "كتب عن إذنه"، تحمل الأرقام التسلسلية التالية: 19، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 104،105، 106، 107، 109، 111، 112، 113، 114، 166، 117، 118.

15 –خليفة حماش، نفسه، ص. 287.

16- نشرت هذه المقالة في العدد رقم 3، سنة (1858–1859) من المجلة الإفريقية، ص ص. 138–150.

17 –ذكر في هذه المقالة أن هذا الكتاب يدعى "البنجق"، لكننا لم نعثر عليه منشورا، ربما يكون مفقودا، أو بقي مخطوطا ولم ينشر بعد، كما أنه لم يذكر ضمن قائمة مؤلفاته في المقالة التأبينية التي نشرت له بمناسبة وفاته في المجلة الإفريقية في العدد الصادر سنة 1878، ص. 516.

18 -Anonyme, Chroniques, Mosaïques ,Inscriptions, etc.., adressées au Musée d'Alger, In R. A, N°2, Année 1857-1858, pp 328-329.

19 -Sudré, Chronique, In R. A, N° 13, Année 1872, p 475.

20-Ch. Féraud, Nécrologie (Albert Devoulx), In R. A, N°20, Année 1876, p 516.

21 – هو إدموند فانيان Edmond Fagnan ولد في مدينة لياج Liège ببلجيكا من أبوين فرنسيين في 5 ديسمبر 1846 عمل مدرسا في جامعة الآداب بالجزائر، في 1 أفريل 1884 شغل كرسي الدروس التكميلية بالعربية والفارسية و التركية حتى بلغ سن التقاعد. كان عضوا مراسلا في الأكاديمية التاريخية الجزائرية ما بين سنتي 1892 و1895، وعضوا في لجنة التحرير، ثم سكرتيرا عاما لها ما بين 1895 و 1904. تراوحت أعماله ما بين نشر للنصوص المخطوطة وبين ترجمة لها. توفي في مدينة الجزائر في 28 فبراير1931.,(G) Esquer

22 - Nécrologie, Edmond Fagnan, R. A, N° 72, Année 1931, pp 139-140 . E.Fagnan, Op.Cit., p. 569.

23 – نجد عبارة "ترجمة رسمية" في الوثائق التي تحمل الأرقام التسلسلية التالية: 5, 33 ،34، 69، 74، 95، 103، 104، 111، 115، 116، 118، 132.

24- مثل الرسالة رقم 18 وهي أصلية قصها إلى جزئين وأعاد لصقها كالتالي: جزء كبير على شكل مستطيل والذي يمثل الجزء الأساسي من متن الرسالة، وجزء صغير مقصوص على شكل إطار شبه منحرف يحتوي الجملة الأخيرة من النص قام بإلصاقه بشكل عمودي على الجانب الأيسر بمحاذات الرسالة. الشيء نفسه يقال على الرسالة رقم 97، و رقم 17 يمكن أن نستنتج من ذلك الأمانة العلمية للناسخ لأنه تحرى أن يلصق أجزاء الرسالة كما وردت في الأصل، لأن أسلوب كتابة الرسائل في بعض الأحيان كان يأتي على هذا الشكل: متن الرسالة بشكل أفقي والاستدراكات تكتب بشكل عمودي على أحد الهوامش المحيطة بالنص مثل الرسالة رقم 106 وهي أصلية. مع أننا لا نلاحظ استعماله لهذه الطريقة في النصوص المنسوخة. الأرجح أن ذلك راجع لرغبته في تقديم النصوص بشكل واضح ومنظم، مع استعماله لعبارة Ps في بعض الرسائل للتوضيح بأنها استدراكات.

25- كلمة عامية جزائرية تعني المنديل، وأصل الكلمة المحرَمة، والمحرُمة، بفتح الراء وضمها يقال إن لي محرُمات فلا تهتكها، جمعها محارم، وتعني ما لا يحل انتهاكه. ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة جديدة (ط1)، 2000، مجلد 4، ص. 96 .

26 –الشيء نفسه يلاحظ . على سبيل المثال . في الرسالة رقم 106 التي جاءت فيها قائمة ببعض الطلبات من علي باي شيخ المعزولة يطلب فيها 3 مزورات من القمح ومزورة من الملح و12 حبلا فقط أما الترجمة الرسمية جاء فيها ذكر لمادة أخرى وهي الشعير.

27 –نذكر منها: الرسالة رقم 124، 125، 126، 128، 129، 131.

28 – هناك تصويبات أخرى للمعلق بخصوص تواريخ الوصول، في الرسائل التالية: 6، 22، 29، 57، 69، 119، 120.

29 – التعليق المرافق للرسالة رقم 41.

30- هناك تعليقات حول الأخطاء في تواريخ وصول الرسائل؛ شبيهة بهذا التعليق في الرسائل: 19، 80، 116.

31 –ورد ذلك في التعليق على الرسالة رقم 19.

32 –Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, O.P.U, p.38.

33- أملريك Amalric: كان . قبل توليه منصب المدير . يعمل مستشارا في البستيون الفرنسي في القالة. تولى إدارته ما بين سنتي 1785–1791

علي باي: هو شيخ منطقة المعزولة بضواحي القالة، تولى المنصب بعد وفاة والده عبد الله بلعباس، وبعد عزل أخيه الباهي وذلك سنة 1785 ؛ كما تشير الرسالة رقم 82 التي بعث بها صالح باي إلى مدير البستيون؛ ثم إن علي باي قد استمر في المنصب إلى غاية 1793، عندما عزل وولي مكانه شخص يدعى محمد بلعباس الذي يبدو من خلال اسمه أنه ينتمي إلى العائلة نفسها. Masson Paul, Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque(1560-1793), Librairie Hachette et Cie, Paris 1903,p428

34- هذا التعليق موجود ضمن التعاليق المرافقة للرسالة رقم: 19.

قراءة في مخطوط " ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي

أ. فوزية لزغم§§

تختلف أوجه الكتابة التاريخية بين التاريخ العام والتاريخ المحلي وكتب السير والرجال والتراجم، وهذه الأنواع الأكثر انتشارا إلى جانب كتب الرحلات والمذكرات، أما الكتابات التي تتناول موضوعا معينا أو ظاهرة بعينها هي أقل انتشارا، ككتب المناقب وكرامات الصالحين وغيرها، إلا أنّ موضوع النسب الشريف حظي بحيز معتبر من حقل الكتابة التاريخية. وظهرت في العصر الحديث على وجه التحديد عدد من المصنفات من المشرق والمغرب منها "ياقوتة النسب الوهاجة" لأبي حامد المشرفي[1] وهو المخطوط موضوع الدراسة.

من الكتب التي تتخذ من النسب الشريف موضوعا لها، "كتاب الاعتبار وجواهر الاختبار والتعريف بذرية النبي المختار" – صلى الله عليه وسلم– لأحمد بن عبد الجليل بن عبد العظيم التونسي، و" السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب" للإمام أحمد بن محمد العشماوي المكي[2]، وغيرها[3].

أولا– التعريف بصاحب المخطوط:

ينتمي أبو حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي [4] إلى أسرة المشارف[5] بغريس. وقد أورد نسبه في "ياقوتة النسب الوهاجة" بقوله:"ولابد من ذكر نسبنا المتصل بنسب العرهبيين فنقول نسب جامعه ومقيده محمد العربي بن عبد القادر بن علي بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن يوسف بن عيسى البوخليلي بن صالح بن الحسن"[6] ووصل بسلسلة نسبه إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– وفاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

ولد أبو حامد المشرفي بقرية الكرط بإقليم الراشدية (غريس) في مطلع القرن التاسع عشر، وتلقى تعليمه بمعسكر ووهران على يد جملة من المشايخ، وفي مقدمتهم الشيخ أبو راس الناصري وعبد الله سقط المشرفي، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر هاجر إلى فاس، ووثق صلته بسلاطين المغرب الأقصى خاصة الحسن الأول الذي كان يصحبه معه في جولاته التفقدية والتأديبية، ولذلك خصه بديوان شعر في مدحه" [7]، وعلى الرغم من صلة المشرفي بالسلاطين المغرب فإنّه لم يتقلد وظائف هامة هناك فكل ما يعُرف عنه أنه تولى تعليم الأطفال[8].

1- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية– جامعة ابن خلدون– تيارت